الصناعة

إما الصناعة فكانت نشطة جدا ولم يتوصل اي قوم في العالم ذلك الوقت إلى ما وصلت اليه الصناعة الكنعانية فقد توجه الكنعانيون إلى نائية جدا بحثا عن المواد الخام لتصنيعها فبلغوا أفريقيا سعيا وراء طلب أصداف (الوركس) التي يستخرج منها صيغ الأرجوان مما أتاح للكنعانيين الانفراد بصناعة الأقمشة الصوفية الملونة.

وتشير النصوص المسمارية المكتشفة في نوزى (بلاد وادي الرافدين) إلى جودة الصوف الكنعانيين هذا إلى جانب استعمالهم الصبغ القرمزي في صيغ المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية فكان هذا الصيغ يستخلص من نوع من الحشرات تعيش على شجر البلوط بعد تجفيفها وإضافة محلول حامضي لها.

إما صناعة الخزف فلم تضاهيما صناعة على الاطلاق وذلك لاستقاتهم من التطورات الصناعية التي حدثت في الأقطار المجاورة فالأواني الفخارية صنعت بواسطة الدولاب الذي تعلموا استعماله من العراق إما أشكال هذه الأواني فقد كانت تجمع بين الأشكال المصرية والكريتية والقبرصية والعراقية،هذا إلى جانب صناعة الأواني المزججة والرخامية، إما صناعة المعادن فقد اظهروا فيها مهارة فائقة من حيث متانة الصنع ودقة عمل للآلات . والأدوات النحاسية والبرنزية والذهنية والفضية، هذا إلى جانب مهارتهم بفن الصياغة لمواد الزينة من معدن الفضة والذهب والبرنز كالأساور والحجول والأقراط والمشابك وحلقات الأنف ، هذا إلى جانب صناعتهم لقطع من الفضة كانوا يتداولونها بدلا عن النقود المسكوكة على أساس الوزن لهذه القطع ، إلى جانب صناعة الآلات الموسيقية من المعادن كالقيثارة والناي والصنج والمزمار والدف ، كذلك مهارتهم في صناعة المواد الحجرية الجيدة والثمينة كالأختام والخواتم والخرز والصناعة العاجية اشتهرت في زمنهم وعملت منها وقال الأدعية ومواد الزينة والأزرار هذا إلى جانب صناعة الزجاج وما يترتب عليها.

أن هذه الصناعة الكثيفة ومهارتهم فيها تحتاج إلى أسواق عالمية لتصريفها فلذلك وجه الكنعانيون نظرهم إلى البحر مستفيدين من الأخشاب في جبل لبنان لصناعة

السفن التي كانت في بادئ أمرها تستعمل لصيد السمك في السواحل وبيعها للمدن القريبة لذلك استفادوا من خبرتهم هذه في الملاحة ووسعوا سفنهم وتوغلوا بعيدا في البحر ونقلوا إلى بلاد نائية تجارتهم لذلك نزاهم قد برزوا في التجارة وفي الأصول القانونية للتجارة إلى جانب عملهم في نقل البضائع التابعة لغيرهم فقد برزوا في تقنية الملاحة التي تفوقت على كل تقنية أخرى ففي القرن الثاني عشر قاموا بجولة حول افريقية مرورا بالبحر الأحمر وجبل طارق استغرقت ثلاث سنوات وسلكوا طرقا غير مطروقة مندفعين بعيدا نحو الغرب ومكتشفين مضبات الأنهار والمواقع الصالحة للجوء المراكب ومستطلعين شواطئ البحار المجهولة وحرصوا على الاحتفاظ بأسرارها وقد نشطوا في كل مكان وأقصوا كل من تسول له نفسه منافستهم ومستعدين لكل قوة تقف في طريقهم لذلك تراهم في القرن الثامن قبل الميلاد يؤسسون المستوطنات التجارية في حوض البحر المتوسط

لقد عرف الكنعانيون الملاحة الليلية واستعانوا بالنجوم وخاصة النجم القطبي وتجولوا بواسطة هذه المعرفة في كثير من السواحل وكانت سفنهم تتألف من طابقين يبرز منها في الأمام عمود حديدي مدبب لمهاجمة السفن الأخرى في حالة اللجوء إلى القتال، هذا وقد قدم الكنعانيون مساعدات لحلفائهم وخصوصا الملوك الاشوريين عندما فتحوا بلاد وادي النيل.

هذا وكنتيجة لهذا الاختصاص التجاري الصناعي البحري جعلهم يوسعون من حجم السفن لكي تستطيع التوغل إلى مسافات ابعد في أعماق البحار لأنهم احتكروا تجارة البحر المتوسط كذلك احتكارهم لأكثر الطرق البحرية الموصلة بين العالم القديم آنذاك كذلك أن الكنعانيين هم أول من اكتشف مجاهل المحيط الأطلسي في العالم وقد قدموا خدمة للعالم بفضل انتشارهم وبفضل أسواقهم في شرق اسبانيا والى قادس بعد مضيق جبل طارق وفي تموين الشرق بالمعادن ولاسيما القصدير كما انهم عرفوا العالم بحضارة الشرق ونشروا إلى عالم ناء مظلم لم تكن قد وصلت اليه شمس الحضارة الثقافة. لقد آسهم الكنعانيون اسهاما فعالا في تطور الملاحة سابقين بذلك البرتغاليين بهذه الاكتشافات الجغرافية بأكثر من آلف عام وخصوصا عندما ساعدهم فرعون مصر (نيخو) في عام ٦٠٩_٥٩٦.م الذي حفر القنال القديم الذي يربط الفرع الشرقي للنيل بالبحر

الأحمر. هذا إلى جانب المحطات البرية في كل من الرها ونصيبين ومواقع على رأس الخليج العربي حيث كانت لهم مدن في مناطق الخليج العربي تحمل أسماء مدتهم مثل ارواد وصور وصيدا.

وكنتيجة لهذا النشاط التجاري والبحري فقد أسسوا مستوطنات تجارية مابين القرن الحادي عشر والثامن قبل الميلاد وذلك تسهيلا للأعمال التجارية والصناعة ومن أشهر تلك المستوطنات قبرص وسر دينيا والعتيقة في تونس وقادس في اسبانيا في بداية القرن العاشر وقرطاجة في القرن التاسع قبل الميلاد وصقلية. لقد قاموا هذه المستوطنات في بداية الأمر على هيئة مراكز تجارية او صناعة ومن ثم يبدأ بتوسيعها حتى تأخذ شكل مدينة تجارية تؤدي خدماتها إلى العالم. أن هذه السلسة من المستوطنات التجارية تتقارب فيما بينها لكي تأخذ المستقبل الزاهر للحضارة العربية الكنعانية. والمرجع أن اول مستوطنة تجارية كنعانية هي قبرص في شرق البحر المتوسط إلى جانب مستوطنة صقيلة وسردينيا في وسط البحر المتوسط التي يرجع تأسيسها إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد. هذا إلى جانب المستوطنات في شمال غرب أفريقيا واسبانيا وخصوصا في القطر العربي التونسي واسمها القديم (عوتيقا) وقادس، التي الجدار في اللغة الكنعانية . باسبانيا وقد انشات حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد . هذا ما زودتنا به النقوش الكنعانية التي وجدت في تلك المناطق .

أن الاكتشافات الجغرافية المهمة التي توصل أليها العرب الكنعانيون في منطقة المحيط الأطلسي وإنشائهم المركز التجاري في قادس وراء أعمدة هرقل (مقابل جبل طارق) قد جعلهم يكتشفون (الدائرة)(الاوقيانوس) الذي سماه العرب ببحر الظلمات ومنهم تعلم اليونان وتعرفوا بذلك البحر ولا نعلم بالضبط إلى اين وصل الكنعانيون في هذا المحيط واسع حيث تضاربت الآراء بين المؤرخين مثل هيرودوتس سترابون وديودور الصقلي، حيث قالوا أن تجارة القصدير قد احتكروها واخفوا الطريق . المؤدي اليها، وخصوصا في بريطانيا وفرنسا ألا أن هناك جملة أسماء لعدة مواقع في اسبانيا ترجع في أصلها إلى اللغة الكنعانية الا أن الشيء المهم هو مدى الانتشار الكنعاني وتحقيقه التجاري والثقافي . الا أن أشهر مستوطنة كنعانية لعبت الدور الكبير سواء في الأمور التجارية او السياسية هي قرطاجة بحيث اصبحت قوة دولية عظمية كان لها دور مهم في

التاريخ السياسي القديم ولاسيما علاقتها مع الإمبراطورية الرومانية بحيث اصبحت من القوة الضخامة نتيجة علاقتها التجارية مع اقطار البحر المتوسط حتى اصبحت دولة مهمة بعد أن تدهورت مدن الكنعانيين في بلاد الشام

(شانها في ذلك شان الدولة العربية في الأندلس بعد سقوط الشام وتأسيس الدولة العباسية) على يد الآشوريين والمصريين واليونان. أن هذه الدولة التي تأسست في القرن السادس قبل الميلاد وأصبحت امبراطورية امتدت من ليبيا إلى اعمدة هرقل تضم اليها مجموعة جزر مثل مالطة وسردينيا جملة من المستوطنات في الساحل الاسباني والفرنسي ، وهكذا عوضت هذه الدولة العربية عن وطنها الام في صورة وصيدا.

أن هذا الاتساع العربي في البحر المتوسط بلغ مبلغا بحيث أن الرومان حذروا من غسل أيديهم في مياه البحر المتوسط بدون موافقة قرطاجة ، ويقال أن الرومان قد قلدوا سفينة قرطاجية كانت متروكة على سواحلهم فينوا على شكلها ١٣٠سفينة لكي يغزوا قرطاجة.

أن هذا الصراع بين القوتين قرطاجة وروما في منطقة البحر المتوسط واصطدام مصالحهما التجارية أدت في النتيجة إلى قيام حرب طويلة دامت اكثر من ١٠٠سنة (٢٦٤_١٤٦ ق.م) وعرفت في تاريخ الرومان بالحرب اليونية (نسبة إلى اسم الكنعانيين) وكانت آخر تلك الحروب حروب هانيبال الذي عبر جبال الألب ودخل ايطاليا وظل يحارب فيها زمنا طويلا قدر بخمس عشرة سنة حتى وصل إلى روما ولكنه اضطر للرجوع إلى قرطاجة ليدافع عنها ضد حملة أرسلتها روما فالتحم الطرفان في موقعة (زاما) حيث خسر فيها هاني بال المعركة في سنة ١٩٦ق.م ولجأ إلى المدينة صور ثم التحقق بالسلوقيين اليونان واشترك معهم في حروبهم مع الرومان ، إما قرطاجة فقد غلبت على آمرها فرضت عليها غرامة باهضة الا أن الرومان لم يتركوها وشانها بل أعلنوا عليها الحرب مرة أخرى ورفض اهل قرطاجة الاستسلام ودافعوا عن مدينتهم من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت ولما دارت الدائرة عليهم بعد أن قدموا أعظم صفحة من البطولة والتضحية أشعلوا النار في مدينتهم وأكمل البرابرة الرومان تهديهم المدينة فزالت قرطاجة من الوجود سنة ١٤٦قزم وتم لروما استعمار البحر المتوسط.